على (الأثر) الناتج عن النص وما يتولد عنه من دلالات، وسوف نتعرض لذلك بعد أن نفرغ من هذه الفقرة. لكننا الآن نركز على هيمنة المعنى ـ وهو أحد تجليات التفكير ـ على التصور اللغوي القديم. كما رأينا عند الجرجاني هنا. وقد أشار ميشيل فوكو إلى أن ذلك ـ أيضاً ـ هو السائد في الحضارة الغربية حيث يقول: (إن الفكر الغربي قد حرص على أن يكون للخطاب أضأل موقع ممكن بين الفكر والكلام، ويبدو أن الفكر الغربي قد حرص على أن تظهر ممارسة الخطاب كنوع من التفاعل بين فعل التفكير وفعل الكلام، سيكون الخطاب فكراً مكسواً بعلاماته، فكراً جعلته الكلمات مرئياً)[16].

وهذا القول في أن الخطاب فكر مكسوّ أو فكر مرئي بالكلمات هو المعادل لقول الجرجاني في أن الألفاظ وعاء للمعاني. والفرق بين الفكرتين هو في استعمال (المعاني) بدلاً من الفكر، والألفاظ بدلاً من الكلمات، كما أن مفهوم (الخطاب) هنا يتعادل مع مفهوم (النظم) عند الجرجاني. ومن هنا فالعالم القديم متفق في نظرته للمعنى والفكر وتقدمهما على النص.

ولذا فاللغة عندهم كانت تتحدد بكونها (تعبيراً عن) و (وعاء لـ) الفكر[17].

ولكن مفهوم اللغة تطور مع مرور الزمن ليتحول من النظر إلى اللغة على أنها (تعبير ووعاء) يعتمد على الاستخدام النفعي، إلى

(16) ميشيل فوكو: **نظام الخطاب** 31 (ترجمة محمد سبيلا. دار التنوير. بيروت 1984).
(17) للتفصيل، انظر: نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، 215,208 (عالم المعرفة. الكويت 1978). وعبد السلام المسدي: **اللسانيات وأسسها المعرفية**، 27-28، (الدار التونسية للنشر، تونس 1986).